

قالوا: اللهم، نعم، قلت: وصنعت عزة بكثير مثل صنيع بئينة فقال كثير: هنيئاً مريئاً غير داء مخامر لعزة من أعراضنا ما استحلنا فما أنا بالداعي لعزة بالجوى ولا شامت إن نعل عزة زلت قالوا: صدقت.

قلت: وليس في هذا الشعر إلا جودة الصنعة، ومناسبة المعنى للغرض، وبذلك فخر به كثير على جميل، ولكن لم يقل له، إنني أصدق منك هوى، بل قال: إنني أغزل منك؟ وشتان بينهما، وطالما فضل جميل كثيراً بما هو أدل على الحب الدفين، وألصق بالهوى العذري. فليس شيئاً ما يراه بعض النقاد من أن كثرة الشعر من الشاعر في غرض من الأغراض مع التجويد دليل صدق العاطفة، فإني لأظن إن بعض شعرائنا مرن على أن وجود في غرض خاص، فإذا تجاوزه أسف، وهذا وإن دل على ضيق الأفق لكنه لا يدل على ضعف الشاعرية، وقد كان من الشعراء الفحول في القديم من اقتصر في حياته على غرض واحد، كالعباس بن الأحنف، ولكن شعره كان - عن طبع - ولم يكن عن صنعة.

ومن أدلة التقليد في شعر ناشئنا، هذا الشعر الديني، فنحن نخالطهم ونتعرف سلوكهم، فنجد ابتعاداً عرفاً عن الأخلاق، وعن الدين وفصائله، ثم نفاجأ في بعض المناسبات بقصائد دينية، ولكن من الإنصاف أن نذكر أنهم يدعون إلى القول في المناسبات الدينية كذكرى الهجرة، وغزوة بدر، والمولد النبوي، فهم لا ينظمون فيها عن رغبة صادقة فليس بعجيب - حينئذ - أن نعلم أن شاعراً نظم قصيدة من هذه القصائد، وهو ثمل يترنج من الخمر، وكذلك ألقاها، ولكن العجيب أن يؤكد كاتب (إن الشعر العربي سيكون صيحة الميدان المبشرة بارتفاع للإسلام لا نظير له) ذلك أننا نجد شعراءنا أقرب إلى التحلل من الدين وأميل إلى الاستهانة بمقدساته، ولقد قرأت كثيراً من هذا الشعر الذي ينفر الرجل الجاد عن سماعه، بله الرجل المتدين وإن روايته وحدها جرم كبير، ولكن لا بأس أن